عواد كريمون

للشاعر الفرنسي فرنسوا كوبيه

بقلم الأستاذ محمد كامل حجاج

يشاهد مصنع للآلات الموسيقية فى القرن الثامن عشر وفى نهايته باب كبير من الزجاج يطل على طريق فى المدينة وترى منه المنازل ، وتشاهد الكمان والفيولونسيل والكونترباس وغيرها من الآلات الوترية مبعثرة داخل المصنع ، وفى الميسرة منضدة كبيرة ظاهرة للعيان وفي الميمنة كرسى كبير وبجانبه منضدة صغيرة ، وفى نهاية المصنع على اليمين حامل لكراسات القطع الموسيقية وللمصنع بابان من الجانبين .

المنظر الأول

(الرئيس فيراري — جانينا)

فيراري — (وقد تملكته نشوة خفيفة من النبيذ)

كلا! لقد آليت ياجانينا إلية شريف لا يحنث ، وسأحترم قسمى وأتمسك به كما يسميني الناس تاديبو فيراري أستاذ وصاحب مصنع الآلات الموسيقية بكريمون وستديك أرباب هذه الصناعة وحامل لوائها فى كل موكب ومحفل وستتزوجين بهذه الطريقة

جانينا — ولكنني يا أبتاه..

فيراري — إنني أتصرف بكل حكمة وبصيرة . ولقد تمنى شيخنا بودستا الذى توفى حديثاً ومن أطلب له من الله الرحمة والرضوان أن تستمر وتخلد شهرة الآلات التى تصدر من مدينتنا الشهيرة القديمة ، فأوصي بسلسلته الذهبية للصانع الماهر الذى يصنع أحسن كمان فى المدينة ، وسنفتتح المسابقة ويحكم فيها اليوم . وإنى وإن كنت صانعاً بسيطاً أقتدى به إذ وعدت فى اجتماع العوادين أن أعطى ابنتى ومصنعى لمن يحرز هذه السلسلة . وهذا ما تم عليه الاتفاق وبت فيه ، فلا فائدة إذن فى الجدال والنقاش ! !

جانينا — لقد عرفتك بأنى أفضل فرداً

فيراري — ساندرو ! ستنسينه وقد أنبأته

جانينا — وقصارى القول إذا كان هذا الفنان المجهول شاباً خبيثاً وليس كفؤاً لك فما العمل ؟

فيراري — إن الصانع الماهر لا يكون فى الغالب إلا شريفاً

تعريف بالقصة

فرنسوا كوبيه نابغة من شعراء وروائى الفرنسيين من نوع الرومانتيك ولد بباريس سنة ١٨٤٢ ، وكفاه فخراً أن يقال له مؤلف « جواب الآفاق » وهى من معجزات نظمه ودرة يتيمة فى نوعها لم يوفق أحد من الشعراء أن يأتى بمثالها وهى تفيض بالعواطف الناجحة والأخلاق السامية ودقيق الاشارات والرشاقة المتناهية والرقة النادرة و « فى سبيل التاج » وهى رواية تاريخية سحرت النفوس ببلاغتها ومتانة تريضها وما اشتملت عليه من النفحات العلوية و « سيفير وتوريللى » و « عواد كريمون » هذه وله من الدواوين الشعرية والروايات التمثيلية كثير لا يتسع المقام لسرده

ومرويير شاعرنا هذا فى أغلب أنواع الشعر لاسيما المراثى والملاحم وكان من الشعراء المحققين وحاز القدح المعلى فى الشعر القصصى المألوف وأنواع الشعر المبتكرة فى بابها ووصف المناظر الطبيعية

وكان مقتدراً فى وصف أخلاق الفرنسيين وعاداتهم وصفاً صادقاً رقيقاً شجياً يهز القلوب طرباً حيثما يصف البؤس المتواصل والفقر المدقع والفضائل المجهولة . فلذلك أسموه « شاعر المساكين » لأنه فى هذه الطبقة الصغيرة الحقيرة أسعده القريض بنفحات مدهشات قلدته زعامة هذا النوع الذى ابتكره

وقد توفى بباريس سنة ١٩٠٨ واحتفلوا بجنازته احتفالا شائقاً بما يليق بمقامه الرفيع وبكاه الفريق الفرنسى قبل الشعراء

جانينا — ... الكسول الذى لا يهتم مطلقاً بمستقبله ؟

فيراري — إنه ينقد أجراً كبيراً فيمكنه أن يعمل أقل من غيره

جانينا — ... فظ غليظ القلب يضرب النساء ؟ وهذا النوع من الرجال موجود

فيراري — إذا لم يجد راحة فى داره فانى أبر أذاه

جانينا — ... وإن كان سكيراً يثقل نبيذ الأحد رأسه ؟

فيراري — وماذا تكون حالى يا بنيتى يوم الاثنين ؟ فلنحترم هواة كروم تؤتى أكلها فى تشرين الأول ! والموسيقى الماهر لا يكون قنوعاً ولا يجوز أن نكذب الأمثال

جانينا — وفى النهاية إذا كان غريب الأطوار ورفض الزواج ؟ ... أواه

فيراري — إن ذاك المضحك يكون حقاً صعب المراس . ولكن حسنة النية مثلك يا جانينا يلزمها أن تكون على بصيرة ، فان هذا النوع من الرجال لا نصادفه كل يوم . وأن ألفين من الريالات اللومباردية لمبلغ لا يستهان به وما هو إلا مهرك . وأنا التلميذ المحبوب لستراديفاريوس قد أقسمت ... فلا فائدة من الخوض فى هذا الموضوع . ولقد نالت منى السنون ولا دواء ينجع فى الكبر وأصبحت أنشد خلفاً لى يساعدنى وسينال الفائز ابنتى ومحلى

جانينا — وفضلا عن ذلك يا أبتى العزيز ...

فيراري — حسبك أسباباً تبديها !

جانينا — وإذا كان الظافر — وإنى لأضحك حينما أحلم بذلك — وإذا كان تلميذك الصغير فيليبو ؟

فيراري — فيلبو ؟

جانينا — وإن حاز الجائزة ؟

فيراري — إننى لن أدهش كثيراً لوقع هذا الخبر ، وإذا نال سلسلة بودستا فستتزوجين فيلبو فى الأسبوع القادم

جانينا — أتزوج فيلبو !

فيراري — ولِمَ لا ؟

جانينا — الأحدب !

فيراري — ان نظرى لحاد يبصر حقيقة الأشياء ، ولكن هل ازدوجت عاهته ؟ فلا تضطربى من ذلك ولا تجزعى فكثيراً ما تظهر لى تلك الصفة حينما يضطرب نظرى وأرى الواحد اثنين — وقصارى القول سيكون لك زوجاً

جانينا — اللهم رحمتك !

فيراري — أليس فيلبو من خير الشبان ؟ أما هو طيب مخلص شريف ؟ ... إن الكآبة والحزن يرتسمان على وجهه وهو أحدب ، ولكنه فنان كبير وموسيقى مثل پالسترينا . ولا أنسى حفلة الطرب الصغيرة التى أقامها لنا — مع أنى نقاد قاس — ولقد أصغيت إليه وأنا أمتع الطرف بالنظر إلى قدح من نبيذ اسقى المعتق فكانت الأوتار تئن تحت قوسه ، وكان عزفه حافلاً بأنواع الآلام فتاناً ساحراً ، وقد انحدرت من عينى دمعتان كبيرتان وحاولت أن أكفكفهما فلم أفلح ، ثم سقطتا فى الكأس ، وهذه أول مرة مزجت فيها النبيذ بالماء

جانينا — إننى أقدر مثلك فيلبو يا أبتى . إننى أرثى له ولم آل جهداً فى تبديد شجونه والعطف عليه حتى ينسى همومه وفقره وعاهته من يوم مجيئه إلى بابنا ليتسول . فهل أستطيع أن أحبه ؟

فيراري — تا ، را ، تا ، تا

إذا كنت لا تظنين أنك لم تعارضى قط بأشد من هذه المعارضة فلنقف عند هذه النقطة فانى أريد أن أزور كهفى ويلزمنى أن أعد لهـذا اليوم بعض القناني التى تعاقبت عليها السنون فغطتها بغبارها ونسيج عناكبها ...

جانينا — وإذا كنت أذهب بدلاً منك ... فان السلم وعر وخطر تزل فيه القدم وإنى أسرع منك ...

فيراري — لا ألاحظ تلك الصعوبة إلا فى الصعود . فدعينى أذهب بنفسى فان أعظم السرور فى انتخاب النبيذ قبل شربه

(ثم يخرج من جهة اليسار)

المنظر الثانى

جانينا — صاندرو

كانت جانينا وحدها لحظة فتنهدت ، ثم يدخل صاندرو من اليسار حاملاً كماناً فى صندوقها الأسود ثم يضعها فوق المنضدة

صاندرو (وهو ممسك بيدى جانينا) ما وراءك من الأخبار ؟ هل لا يزال الرئيس مصمماً ألا يزوجك إلا أمهر الصناع ؟

جانينا — بل مستمر فى عناده أكثر من قبل

صاندرو — ما هذا الجنون الفظيع ! هل علم منك درجة حبك له وإنى إذا أخفقت مت وهلكت؟ ماذا أجاب ؟

جانينا — أن أنساك

صاندرو — القاسى !

جانينا — (مشيرة إلى صندوق الكمان) هل أتممت صفوة أعمالك ؟

صاندرو — هل أكون أكسل من الأفعى ؟ إننى كنت دائماً على استعداد، لأن أملى الأخير معلق بها . واليوم يبت الخبراء فى حظى إن كان سعيداً أو منكوداً

جانينا — هل أنت مطمئن وواثق من عملك ؟

صاندرو — إننى أجيـد صناعتى وقد صنعت الكمان حسب قواعد الفن فى أوكتافاتها الأربعة المضبوطة، نقية فى أصواتها الحادة، عميقة فى أصواتها الغليظة ؛ وقد بذلت فى عملهـا جميع ما فى وسعى وأجدت انتخاب خشبها وأوتارها ودهانها وأظن أن هذه الآلة لجديرة بفنان عظيم

جانينا — (بلهجة فرح) أتؤمل أن تنال الجائزة ؟

صاندور — ربما ...

جانينا — ولكنك ستنال الجائزة ! فلم يخالجك الشك ؟ أى منافس عظيم تخشاه ؟ إن أبى كما علمت أعظم فنان فى كريمون ولقد تعلمت عنده ، وإنى أود أن تنال الجائزة

صاندرو — إننى لا أخشى أى منافس خرج من مصنع آخر

جانينا — ممن تخاف إذن ؟

صاندرو — إن الذى أخشاه فى مصنعنا

جانينا — وكيف يكون فى مصنعنا ؟

صاندرو — نعم وما هو إلا الأحدب ! لعن الله اليوم الذى لاقيته فيه !

جانينا — هل دخل فيلبو المنافسة ؟

صاندرو — إن الأفعوان الصغير قد جهر بذلك أمس أمام أبيك

جانينا — أبى الذى كان يقول فى بعض

الأحيان مازحاً بأنه إذا نال الجائزة فانى أزوجه ابنتى

ساندرو — إنه يظنك خالية القلب فلذلك كان منقاداً للأمل

جانينا — إننى لا يخالجنى الشك من ناحية ذاك الفتى المسكين . إنه يطمح إلى السلسلة الذهبية ولقب الرياسة ، وأننا نسمح له أن يطمع إلى هذه الأمور ولكنه يكون مغروراً إذا زعم أنه يطمع فى زواجى

ساندرو — ولا أكتم عنك أنه إذا خرج من الامتحان ظافراً فانه يسبب لى آلاماً لم أرها فى حياتى وأشعر حين ذاك بعاطفة ممقوتة

جانينا — وماذا تكون ؟

ساندرو — الحسد !

جانينا — تكون حسوداً يا ساندرو ! هذا من المستحيل !

ساندرو — نعم نعم ، لأنى أعرف عمله وتقلقنى الغيرة منه ، وسيعرف الناس فضله مثلما عرفته — إننى لا أنسى تلك الليلة إذ كنت جالساً إلى كوتى وكنت أفكر فيك تحت سماء الصيف الصافية وكان فى الحديقة عندليب يصدح فى سواد الليل فتصعد أنغامه الساحرة إلى عنان الزرقاء المتألقة بكواكبها ، فسمعت على حين غفلة فى الظلام غناء آخر فخما فتاناً يشجى القلوب أكثر من غناء ذاك البلبل ، ولمحت الأحدب فى غرفته أمام حاملة كراسات الموسيقى وقوسه فى يده وكأنه يخرج أنغاماً تعادل الأصوات الانسانية وهى تعبر عن حب مبرح امتزج بالألم ولا يقل فى حلاوته ورقته عن ذاك الطير الصادح . وتبادل الصوتان فى الليل البهيم الأنغام البلورية وكنت أصغى إليهما ؛ وبعد دقيقة اختلط على الأمر فلم أدر أى الصوتين أفضل من الآخر : صوت البلبل أم صوت الكمان

جانينا — هل يحزنك بهذا المقدار نجاح منافسى؟

ساندرو — أواه ! إنها لعاطفة لا تليق بفنان ، ولكنه إذا وجد فى أبيك معيناً ومساعداً ، أو أصبح ظافراً ...؟

جانينا — إننى لا أحب إلا إياك وأعدك بأننى سأكون لك وإلا فإنى أرفض زواج غيرك

ساندرو — أتقولين حقاً ؟

جانينا — حقاً وصدقاً !

ساندرو — يالله ! ما أطيبك !

جانينا — وهذه يدى أضعها فى يدك ضماناً لقسمى

ساندرو (يقبل يدها) — أشكر لك !

(يسمع فى الخارج لغط)

جانينا — ما هذا اللغو ؟

المنظر الثالث

فيليبو — ساندرو — جانينا

(يدخل فيليبو مندفعاً ويقفل الباب بشدة وهو يلهث من الاعياء)

فيليبو — أف لهؤلاء الأوغاد الصغار ! لقد ظننت أنهم سيلحقون بى

جانينا — ما الذى دهاك يا فيليبو ؟ وما الذى تخشاه ؟ ومن يطاردك ؟

فيليبو — صغار الأوباش الاشقياء وقد رجمونى بالحصى وكانوا يريدون قتلى

جانينا — يقتلونك أنت ؟

فيليبو (وهو يمس رأسه بيده) — والدليل على ذلك أننى أشعر بجرح فى جبهتى

ساندرو — إن رأسك يسيل دما !

جانينا — على بالماء ... أسرعوا !

(ثم ذهبت لاحضار طشت وأبريق)

ساندرو — خبرنا كيف حصل لك ذلك

فيليبو — إن المسألة لى غاية البساطة ، فقد كانوا خمسة عشر أو عشرين وهم خليط من الصعاليك والتلاميذ وقد أحاطوا بكلب وطفقوا يرجمونه بجانب سور وقد أعيا المسكين ولم يستطع الدفاع ولا الحراك إذ كانت رجله مكسورة بل اكتفى بالتكشير عن أنيابه . ولما شاهدت تعذيب هذا الحيوان أشفقت عليه وتألمت له لأنه مسكين مثلى . فتوسطتهم وسألتهم أن يرحموه فاستشاطوا غضباً وتركوا الحيوان وتألبوا على رجمى فمدوت وهم يطاردوننى ، ولولا هربى فى الأزقة لقتلونى والحمد لله قد نجيت الكلب الأعرج المسكين

(ثم ارتمى على الكرسى خائر القوى)

جانينا (وهى تضع منديلها المبلل على جبينه) — ما أشقى هؤلاء المتشردين إذ لم يرأفوا منهم ، يالك من مسكين !

فيليبو (على حدة) — يدها فوق جبينى ؟ يا ما أحلاها !

جانينا — هل حسنت حالك ؟

فيليبو (ينهض ويتكلم بصوت متأثر) — شكراً لك . لا أشعر بشىء مطلقاً

ساندرو (على حدة) — إن هذا التأثر لكثير جداً حيال شكر ! ولا أخطئ أنه يحبها

المنظر الرابع

من سبق ذكرهم وسهم فيراري

فيراري (وقد زادت نشوته وبيده سلة لحمل الغنائى) — يا للغرابة ! لقد مضى على أكثر من عشرين سنة وأنا أصف صنى النبيذ في مكان مقفل فترون الطابع الأحمر فى اليمنة والأخضر فى اليسرة ، ولم يطرق أحد هذا المكان وما فتئ مفتاحه فى جيبي وقد لاحظت أن ابنتى قد غيرت مواضعها فهل فسدت أخلاق القنانى أو أننى لا أميز يمينى من شمالى

جانينا — أبتاه ...

فيراري — ها أنت يابنيتى وأنا أبحث عنك إذ بعد قليل حينما يصرخ الكمان ونعرف من سيكون لك زوجاً سأدعو الزملاء للعشاء فهيا جيانى بشعرى الأبيض المستعار وكسوتى الفاخرة فإن الانسان إن أهمل زينته نقص احترامه . هيا بنا !

(ثم يخرج من اليمنة وتتبعه جانينا)

(يتبع)

محمد كامل مهجاج

سندباد عصرى

فى سفينة مصرية

رددت أخبارها صحف العالمين

الانسانية فى شتى مظاهرها تطالعك من صفحات

سندباد عصرى

بقلم

حسين فوزى

١٢ قرشاً أطلبه اليوم من المكاتب ١٢ قرشاً